

الغاز في شرق المتوسط: بين المكاسب النسبية والمكاسب المطلقة.

*Gas in the Eastern Mediterranean: Between Relative Gains and Absolute Gains.*نصيرة صالحي^{*1}Nassira SALHI^{*1}¹ جامعة عباس لغرور خنشلة، (الجزائر)، salhi.nassira@univ-khenchela.dz

تاريخ النشر: 2025/12/29

تاريخ القبول: 2025/12/18

تاريخ الإرسال: 2025/04/25

Abstract :

This study, through the use of the neo-neo debate on relative and absolute gains, seeks to analyze the reality and future of competition for gas according to two scenarios. The first is a scenario based on the assumptions of the neorealist, which is a pessimistic scenario (war on/for energy), and the second is an optimistic scenario based on the assumptions of the neoliberals (cooperation to benefit from energy resources).. This study argues that changes in the nature of the international system affect conflict over resources in the Eastern Mediterranean and simultaneously contribute to determining the hierarchy of power.

The study concludes that several indicators corroborate the structural realists' hypothesis, particularly the escalation of conflicts such as the Russo-Ukrainian War and the Gaza War. These conflicts cannot be understood without addressing the energy variable.

Keywords: Gas, eastern Mediterranean, constraint, incentives, future of international system

ملخص

تسعى هذه الدراسة وعبر استخدام النقاش نيو نيو حول المكاسب النسبية والمكاسب المطلقة لتحليل واقع ومستقبل التنافس على الغاز وفق سناريوهين، أولهما سيناريو ينطلق من افتراضات الواقعيين الجدد وهو سيناريو تشاؤمي (الحرب على/من أجل الطاقة)، والثاني تفاؤلي ينطلق من افتراضات الليبراليين الجدد (التعاون للاستفادة من الثروات الطاقوية). تجادل هذه الدراسة أن التحولات في طبيعة النظام الدولي تؤثر على الصراع على الموارد في منطقة شرق المتوسط وتساهم في نفس الوقت في تحديد تراتبية القوة.

تخلص الدراسة إلى أن هناك العديد من المؤشرات التي تدعم افتراض الواقعيين البنيويين، خاصة مع تزايد حدة الصراعات على غرار الحرب الأوكرانية الروسية والحرب على غزة، وهي صراعات لا يمكن أن نفهمها دون التطرق إلى متغير الطاقة.

كلمات مفتاحية: الغاز، شرق المتوسط، الاكراهات، الحوافز، مستقبل النظام الدولي.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة

أدى نشوء النقانة مع اكتشاف الآلة البخارية إلى تحولات جذرية في العالم، ليس فقط على مستوى طبيعة الإنتاج بعد الانتقال من الزراعة إلى الصناعة، وإنما أيضا على مستوى طبيعة الصراعات التي انتقلت من الصراع على الأراضي إلى الصراع على مصادر الطاقة، حيث باتت الآلة الصناعية أكثر استهلاكاً للطاقة، ولئن كان اكتشاف الفحم هو أهم خصائص الثورة الصناعية الأولى، فإن الثورة الصناعية الثانية تميزت باكتشاف الصناعات الكيماوية والبترو. أثر تزايد الطلب على الموارد الطاقوية بشكل كبير على طبيعة التفاعلات في العلاقات الدولية، حيث باتت القوى الأوروبية المستعمرة تتوسع على حساب الدول الأخرى سعياً لاستغلال مواردها الطاقوية.

على الرغم من التحولات الكبيرة التي شهدتها العالم مع نهاية الحقبة الكولونيالية/الاستعمارية ونهاية الحرب الباردة، فإن الصراع على الطاقة لا يزال السمة الأساسية في التفاعلات الدولية، وهو صراع يتجدد مع أية اكتشافات نفطية أو غازية جديدة، أين تنبني مختلف القوى الدولية أو الإقليمية لأخذ حصتها من هذه الموارد، لدرجة بات هذه الموارد لعنة على الدول التي تكتشف فيها وتعاني في أغلبها من لعنة الموارد Resource curse¹. لم يكن اكتشاف الغاز في شرق المتوسط بعيداً عن هذا السياق، فبمجرد إعلان وكالة المسح الجيولوجي الأمريكية عن وجود احتياطات معتبرة من الطاقة في المنطقة، بدأ التوتر بين دول المنطقة لاقتسام ثروات شرق المتوسط، وهي صراعات تعكس طبيعة التحولات التي يعرفها النظام الدولي خاصة وأن القوى غير الراضية عن الوضع القائم باتت تتخذ خطوات نحو تغيير طبيعة هذا النظام، وهو ما يمكن أن نرصده في الحرب الروسية على أوكرانيا (2022)، والتغيرات التي تعرفها منطقة الشرق الأوسط خاصة بعد الحرب على قطاع غزة (2023) والتحول في طبيعة النظام السوري (2024).

ضمن هذا السياق تحاول هذه الدراسة تحديد الاكراهات Constraint النابعة من الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي والحوافز Incentives التعاونية في شرق المتوسط ومستقبل التنافس على الغاز وفق سيناريوهين، أولهما سيناريو تشاؤمي (الحرب على/من أجل الطاقة)، والثاني تفاؤلي (التعاون للاستفادة من الثروات الطاقوية)، تجادل هذه الدراسة أن التحولات في طبيعة النظام الدولي تؤثر على الصراع على الموارد في منطقة شرق المتوسط وتساهم في نفس الوقت في تحديد تراتبية القوة.

2. الطاقة بين إكراهات بنية النظام الدولي وحوافز التعاون

تختلف رؤية الواقعيين البنويين والليبراليين (بمختلف تنويعاتهم) للطاقة، فبينما يرى الواقعيون أن الطاقة تعكس تراتبية القوة وتعتبر واحد من مصادر القوة والصراع فالتعاون في مجال الطاقة ليس بالأمر اليسير فالدولة لا ترى إلى ما تحققه من مكاسب بل تنظر إلى ما تحققه الدول الأخرى من مكاسب نسبية، فتحقيق الدول لمكاسب تصب خانة قوتها الكامنة وتؤثر على الوضع النسبي لقوة الدولة وقدرتها على التأثير في النظام الدولي². في حين يرى الليبراليون أن استغلال الطاقة يتطلب تعاوناً بين الدول (من حيث إنتاجه واستغلاله ونقله) فاستغلال الميزة النسبية Comparative advantage تؤدي إلى جنوح الدول كفاعل عقلائي إلى النظر إلى المكاسب المطلقة التي تحصل عليها عبر التعاون³.

1.2. الطاقة وتوازن القوى:

يؤكد الواقعيون البنويين Structural Realism أن الدول التي تتفاعل في ظل نظام فوضوي تغيب عنه سلطة عليا، تسعى إلى الحصول على القوة Power كسبيل لتحقيق هدفها النهائي "البقاء" Survival . على اختلاف الواقعيين البنويين في تحديد مقدار القوة الذي تبحث عنه الدولة، بين الواقعيين الدفاعيين Defensive realism الذين يجادلون بأن البحث عن القوة لا ينبغي أن يؤثر على توازن القوى، لأن من شأن هذا

الأمر أن يؤدي بالدول الأخرى إلى تشكيل تحالف موازنة Balancing coalition ضدها، بالتالي يهدد بقاءها، والواقعيين الهجوميين Offensive realism الذين يؤكدون أن الدول تكون عموماً غير راضية عن الوضع القائم وتسعى دائماً إلى إحداث تعديل في موقعها ضمن تراتبية القوة الدولية الموزعة بين قوى عظمى/كبرى، متوسطة وضعيفة، بـغية الوصول إلى الهيمنة على المستوى الإقليمي⁴ Regional hegemony، فإن نظرتهم تبقى مادية بحتة للقوة حيث يحددها كـنـث ولـتـز Kenneth Waltz في سبعة موارد رئيسية تتمثل في حجم السكان والمساحة، الموارد الطبيعية، القدرات الاقتصادية، القوة العسكرية، الاستقرار السياسي والكفاءة.⁵ من الواضح أن الواقعيين يركزون على القوة العسكرية كمتغير أساسي في التفاعلات الدولية، ولكن العوامل الأخرى تبقى مهمة لتجميع القوة ، يعتبر جون ميرشايمر John Mearsheimer عناصر القوة الأخرى (غير العسكرية) كقوة كامنة Latent Power تصب في خانة بناء قوة عسكري⁶.

على الرغم من أن الطاقة تدخل في إطار القوة الاقتصادية التي تعد قوة كامنة، إلا أن الربط بينها وبين القوة العسكرية بات واضحاً جداً عبر ما عُرف بـسلاح الطاقة Energy Weapon، وذلك من خلال قيام الدولة/الدول المنتجة للطاقة بقطعها أو من خلال التضييق على خطوط الإمداد و/أو ممرات النقل، وهو ما يمكن أن نرصده بوضوح في حظر النفط العربي 1973، وفي استخدام روسيا وأوكرانيا للغاز كوسيلة ضغط على الطرف الآخر، فبعد يومين من انطلاق الهجمات الروسية على أوكرانيا وتحديداً في 24 فيفري 2022، قامت روسيا باستهداف منشآت الطاقة الأوكرانية باستخدام أكثر من 200 صاروخ وطائرة مسيرة، وأسفرت عن انقطاعات كبيرة في الكهرباء وإمدادات المياه في أوكرانيا، كما شهدت الحرب بين الطرفين العديد من الهجمات على مصافي النفط ومخازنه⁷. أما على الجانب الآخر، قامت أوكرانيا بوقف عمليات نقل الغاز الروسي إلى

مولدوفا ودول أوروبا عبر أراضيها في 1 جانفي 2025، وهو قرار وصفه وزير الطاقة الأوكراني هيرمان هالوشينكو بأنه يرتبط بشكل مباشر بالأمن القومي الأوكراني⁸. على الرغم من أن الطرفين يؤكدان أن الهدف من هذه الضربات هو الحد من المجهود الحربي للطرف الآخر، فإن هذه الهجمات تدخل ضمن نطاق استخدام سلاح الطاقة لتحقيق مكاسب ضد الطرف الآخر.

استخدام السلاح الطاقة أصبح نمطا أساسيا تستخدمه الدولة غير الراضية عن الوضع القائم خاصة روسيا، وإن بدا هذا الأمر بشكل واضح في حربها ضد أوكرانيا وتهديداتها المتكررة للاتحاد الأوروبي، فإنه وعلى سبيل المثال هدّدت موسكو بقطع صادراتها من الطاقة عن كومنولث الدول المستقلة وأوروبا الشرقية والغربية في حوالي 40 مناسبة ما بين عامي 2000 و2006⁹.

تعاظم دور العامل الاقتصادي في تحديد تراتبية الدولة ضمن سلم القوة الدولي، أدى إلى التحول في النظر إلى القوة أين بات يلعب العامل الاقتصادي دورا محوريا فيه، حيث بات تأمين مصادر الطاقة ضمانا لاستمرارية عجلة الإنتاج، وتعد الهيمنة وتأمين مصادر الطاقة واحدا من العوامل الحاسمة التي تحدد مدى قدرة الدولة على الاستمرار في الهيمنة على المستويين الإقليمي أو العالمي، فالطاقة باتت وسيلة للتأثير على توازن القوى تستخدمها القوى غير الراضية أو الساعية للحفاظ على الوضع القائم بأكبر قدر ممكن من العقلانية، من أجل تعزيز مكانتها في النظام الدولي.

2.2. الهيمنة على الطاقة كمتغير يعكس توزيع القوة :

عكست السياسة الطاقوية توازنات القوى الدولية، فمع تمدد الحركة الكولونيالية، كان ينظر للدول المستعمرة على أنها مناطق استخراجية Extractive Zone للطاقة بمختلف أنواعها. لقد بدأ النظام الاقتصادي العالمي في التشكل كنتيجة لاستعمار وغزو

الأمريكيتين وإفريقيا وآسيا، حيث أن نمط الاستخراجي للتراكم عمل على خدمة المتروبول¹⁰، أين تخصصت المناطق المُستعمرة في استخراج وإنتاج المواد الخام- السلع الأساسية - في حين تولى المتروبول إنتاج السلع المصنعة¹¹. توالي الاكتشافات النفطية في الدول المستعمرة وتزايد الحاجة إلى هذه المادة الطاقوية التي تم استخدامها كبديل للفحم خلال الحرب العالمية الأولى¹²، أدى إلى تعزيز الاستخراجية، وحتى بعد الاستقلال حاولت الدول المُستعمرة الإبقاء على هذا النمط في علاقتها مع الدول المستقلة حديثاً .

مع نهاية الكونولياية، حاولت الدول المستقلة تحقيق قطيعة مع الدول الاستعمارية، وتشكيل قطب ثالث موازي للقطين المتصارعين خلال الحرب الباردة، ولقد كان تأميم شركات النفط وإنشاء منظمة الأوبك بهدف ضبط أسعار البترول ضمن هذا المسعى. مع ذلك، فإن هيكل التراكم Structure of accumulation الرأسمالي نجح في الحفاظ على انخراط دول العالم الثالث في آليات السوق الرأسمالي/ النيوليبرالي عبر ضمان ربط المناطق المهمشة والجيوب الاستخراجية بالأسواق العالمية¹³ وهو ما بات يُعرف في الأدبيات اللاتينية بالاستخراجية الجديدة Neoextractivism

3.2. ضمان تدفق الطاقة والأمن الطاقوي:

كان الاستخدام الاقتصادي والسياسي لموارد الطاقة نقطة خلاف بين المدارس الفكرية المختلفة التي لا تزال تهيمن على الاقتصاد السياسي الدولي والعلاقات الدولية، حيث يميل الليبراليون الجدد إلى النظر إلى الطاقة على أنها قضية غير سياسية يمكن استخدامها لتعزيز التعاون والمنافع المتبادلة لتعزيز الاعتماد المتبادل بين الدول .

على عكس الواقعيين الجدد الذين ينظرون للطاقة كمتغير يعكس ويؤثر على تراتبية القوة، فإن الليبرالية المؤسساتية تؤكد على أن الطاقة يمكن أن تساهم بشكل كبير في تعزيز التعاون بين الدولة عبر المؤسسات الدولية، وهو ما يبرز عبر تزايد عدد المنظمات

الدولية التي تسعى إلى ضمان التدفق الطاقوي بأسعار عادلة على غرار منظمة أوبيك، أوبيك بلس، ميثاق الطاقة الأوروبي، مركز الطاقة التابع لرابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي والوكالة الدولية للطاقة، هذا التعاون ينبع من الإدراك المتزايد بأن الارتباط الكبير بين الاقتصاديات العالمية يجعل من استخدام الطاقة كسلاح أمرا مكلف جدا لجميع الأطراف، ولهذا بات ضمان الأمن الطاقوي هاجسا أساسيا لجميع الدول سواء المنتجة أو المستهلكة، وقد يوفر الاتفاق الأمريكي مع الحوثيين مثالا جيدا على أهمية العلاقات السلمية لاستمرار العلاقات التجارية وعدم تعريضها للخطر.

برز الأمن الطاقوي كمسألة ذات أهمية كبيرة بعد أن لجأت الدول العربية المصدرة للنفط إلى ما عرف بـ "السلاح النفطي" لمعاقبة الولايات المتحدة ودول غربية أخرى بسبب دعمها الكبير لإسرائيل، ومنذ ذلك الحين بات أمن الطاقة مرتبطا باستقرار إمدادات النفط الرخيص تحت التهديد بالحصار والتلاعب بالأسعار من جانب المصدرين، أدت هذه الحادثة إلى إنشاء وكالة دولية للطاقة في عام 1974 التي ربطت بين مفهوم الأمن القومي وأمن الطاقة .

في تلك المرحلة كان الأمن الطاقوي يهدف إلى ضمان الاستقرار في أسعار النفط، ولكن يبدو أن هذا التحدي كلاسيكي بالنظر إلى التحديات الجديدة التي باتت تطرح في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، فالفهم التقليدي للأمن الطاقوي لم يعد قادرا على استيعاب التحديات الجديدة التي برزت في عالم ما بعد الحرب الباردة¹⁴، مثل تحدي توفير فرص منصفة للحصول على الطاقات الجديدة والتخفيف من آثار تغير المناخ وهو ما أدى إلى بروز مفهوم حديث للأمن الطاقوي يتضمن بعدين الأول توافر مصادر الطاقة دون انقطاع بأسعار معقولة من جهة، أما البعد الثاني فيتمثل في توافر الطاقة على المدى الطويل الذي يفي بمتطلبات التطورات الاقتصادية والاحتياجات البيئية المستدامة¹⁵.

3. الغاز في شرق المتوسط: أي انعكاس لتراتبية القوة في النظام الدولي؟

فتحت الاكتشافات الجديدة لحقوق الغاز في شرق المتوسط الباب أمام تنافس محموم للاستحواذ على هذه الطاقة التي تعد أنظف المصادر الإحفورية للطاقة بسبب مؤهلاتها البيئية، وكفاءتها العالية في توليد الطاقة المقارن بالنفط والفحم، وانبعاثات غازات دفيئة أقل مقارنة بأنواع الوقود الأحفوري الأخرى، وملاءمتها للشراكة مع مصادر الطاقة المتجددة كوقود احتياطي.¹⁶ قدّرت هيئة المسح الجيولوجي الأميركية في العام 2010 احتمال وجود ما يقرب من 122 تريليون م³ من مصادر الغاز غير المكتشفة في حوض شرق المتوسط قبالة سواحل سوريا ولبنان وإسرائيل وغزة وقبرص، بالإضافة إلى ما يقارب 107 مليارات برميل من النفط القابل للاستخراج.¹⁷

أشعلت الاكتشافات المتتالية للحقول الغازية في منطقة شرق المتوسط (أنظر الجدول رقم 01 فتيل العديد من الأزمات في المنطقة، ورسمت العديد من التحالفات في منطقة الشرق الأوسط التي تعد أصلاً محل أطماع تاريخية، فمنطقة الشرق الأوسط تضم حوالي 47% من احتياطي النفط و41% من احتياطي الغاز في العالم، وزاد من أهميتها انفتاح البحر المتوسط على تقاطع آسيا وأوروبا وإفريقيا، واتصاله بطرق التجارة العالمية عبر مضائق السويس والبوسفور وجبل طارق.¹⁸

الجدول رقم 1: حصص الشركات الأجنبية في غاز شرق المتوسط، أبريل 2020

البلد	حقوق الغاز (الاحتياطيات) والكتل الاستكشافية
مصر	الاستغلال
	اسم الحقل
	إيني (إيطاليا) 50%؛ روسنفت (روسيا) 30%؛ BP 10%؛ مبادلة (الإمارات) 10%
	ظهر (30 تريليون قدم مكعب)
	غرب دلتا النيل (5 تريليون قدم مكعب)
	بريتيش برتروليوم 82.75%

ديا - ايه جي (ألمانيا) 17.25%		
إيني 40%؛ 25 BP؛ مبادلة 20%	نور (2 تريليون قدم مكعب)	
إيني 75%؛ 25 BP	نوروس (2 تريليون قدم مكعب)	
100 BP	• أتول (1.5 تريليون قدم مكعب)	
إيني 50%؛ 50 BP.	حقل بلطيم جنوب غرب (0.7 تريليون قدم مكعب)	
نوبل 39.66%	ليفياثان (22 تريليون قدم مكعب)	إسرائيل
نوبل 36%	تمر (10.8 تريليون قدم مكعب)	
	تتين (1.3 تريليون قدم مكعب)	
	كاريش (1-1.5 تريليون قدم مكعب)	
	ماريبي (1 تريليون قدم مكعب)	
نوبل 47%	نوا (2 تريليون قدم مكعب)	
شركة بلوك 12%- نوبل 35 % شركة بيجي 35 % -دالك (الإسرائيلية) 30%	أفروديت (حسب التقديرات من 5 إلى 8 ترليون قدم مكعب)	جمهورية قبرص
إيني 50 % - توتال 50 %	كالييسو (حسب التقديرات 6.4 تريليون قدم مكعب)	
إكسون موبيل 60 % قطر بتروليوم 40 %	جلوكوس (حسب التقديرات بين 5-8 ترليون قدم مكعب)	
إيني 50%	حقل بوري 3.5 ترليون مكعب	
توتال 40%؛ إيني 40%؛ نوفاتيك 20%		لبنان
BG 90%	غزة مارين	الأراضي الفلسطينية

المصدر: John V. Bowlus, Eastern Mediterranean gas: Testing the field , European Council on Foreign Relation , (accessed on 12.04.2025) https://ecfr.eu/special/eastern_med/gas_fields

ومما زاد من حدة هذه النزاعات هو عدم توقيع كافة الدول ذات العلاقة المباشرة بغاز شرق المتوسط على اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، ناهيك عن وجود العديد من الأزمات التي لم تجد طريقها للحل في المنطقة على غرار الصراع العربي الإسرائيلي والصراع بين قبرص اليونانية وقبرص التركية، ولهذا ونظرا لعدم خضوع ثروات شرق المتوسط للقانون الدولي فإن سياسة القوة ستلعب دورا كبيرا في تحديد حصة كل طرف من هذه الموارد، ويمكن أن نقسم أطراف الصراع على هذه الموارد إلى أطراف مباشرة وغير مباشرة.

1.3 أطراف الصراع المباشرة:

وهي الدول المشاطئة لشرق البحر الأبيض المتوسط والتي تسعى إلى تعظيم حصتها من الموارد الطاقوية، من خلال العمل على تشكيل خريطة تحالفات تضم بعض الدول وتقضي البعض الآخر، حيث كانت تركيا أبرز الأطراف التي أريد تحييدها من خارطة تقاسم الغاز في المنطقة وحصرها ضمن منطقة ضيقة من حيث الجرف القاري، حيث تم استثناءها من منتدى غاز شرق المتوسط والذي تأسس في جانفي 2019 في القاهرة، بهدف إنشاء سوق غاز إقليمي في منطقة الشرق الأوسط، وهو إقصاء جاء نتيجة توتر العلاقات المصرية التركية وذلك منذ الانقلاب على الرئيس محمد مرسي واستضافة تركيا للعديد من قيادات المعارضة التركية، وهو ما يفسر الاتفاق على ترسيم الحدود البحرية بين مصر وقبرص والذي لم تكتف تركيا برفضه بل تحركت لتعترض سفينة إيطالية تابعة لشركة إيني للتنقيب عن النفط في المياه القبرصية¹⁹، ومع أن زيارة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لمصر في ديسمبر 2024 قد وضعت حدا للعديد من المسائل الخلافية بين الطرفين ، إلا أنها لم تنه حالة التنافس بينهما.

رسم التنافس المصري التركي والصراع القبرصي خريطة تحالفات ضمت بالأساس مصر واليونان وقبرص وخليفة حفتر، تجمع هذه الأطراف مصالح مشتركة فمصر المنزعجة من السياسة التركية الداعمة للثورات العربية معمل على تحييد تركيا، كما أنها تريد أن تكون بوابة للتطبيع العربي الإسرائيلي من خلال الغاز، واليونان تنتظر بعين الريبة إلى الصعود التركي، كما أن العلاقات الإسرائيلية التركية لاتزال متدهورة منذ حادث سفينة مرمرة 2010، وقد زادت الحرب على غزة من توتر العلاقات التركية الإسرائيلية التي وصلت إلى قطع العلاقات التجارية بين الطرفين.

وتعتبر تركيا القوة الصاعدة والتي ترى أنها تعرضت لظلم كبير خلال اتفاقية سيفر 1920، التقسيمات الجديدة لبحر شرق المتوسط نسخة جديدة من اتفاقية سيفر، ولهذا فقد قامت بمجموعة من الخطوات التي تعكس سلم تراتبية قوتها في المنطقة، حيث أنها وضعت استراتيجية باتت تعد أهم أسس السياسة الخارجية التركية تعرف بـ "الوطن الأزرق" تسعى من خلالها لفرض سيطرتها على مساحة تبلغ 462 ألف كيلومتر من الأراضي البحرية في شرق المتوسط وإيجة، وهي استراتيجية يحاول من خلالها صانع القرار التركي توسيع الجرف البحري لتركيا لتجنب أحد أهم أسباب انهيار الدولة العثمانية وهو فقد سيطرتها على البحار²⁰. ولهذا لا يمكن أن نفسر التدخل التركي في ليبيا (2020) بعيدا عن محاولاتها لتأمين الموارد الطاقوية في شرق المتوسط، وفرض تطبيق الاتفاق الذي وقعته تركيا مع الجانب الليبي في 27 نوفمبر 2019 والذي تم بموجبه تحديد مجالات الصلاحيات البحرية، بهدف حماية حقوق البلدين النابعة من القانون الدولي²¹، وهي اتفاقية زادت بموجبها أنقرة من مناطقها الاقتصادية الخاصة وسواحلها القارية في شرق المتوسط بنسبة 30%²².

أما السلطة الفلسطينية، لبنان وسوريا فتعد الحلقة الأضعف في هذا النزاع. برزت قضية موارد الغاز الطبيعي في قطاع غزة في عام 1999 عندما بدأت شركة الغاز البريطانية (BG Group) التنقيب في منطقة حقل غاز واسعة تقع على بعد 17 إلى 21 ميلاً بحرياً من ساحل غزة. يُعرف هذا الحقل باسم غزة مارين، ويقع ضمن حدود السيطرة البالغة 20 ميلاً الممنوحة للسلطة الفلسطينية بموجب اتفاقية أوسلو الثانية لعام 1995. وقع زعيم السلطة الفلسطينية ياسر عرفات عقد ترخيص استكشاف لمدة 25 عاماً مع اتحاد يتكون من شركة المقاولين الموحدين ومجموعة الغاز البريطانية وصندوق الاستثمار الفلسطيني، كما اكتشفت شركة مجموعة الغاز البريطانية حقلين في غزة باحتياطيات إجمالية تبلغ 1.4 تريليون قدم مكعب في غزة مارين²³. ورغم أن هذه الثروات تقع بموجب القانون الدولي ضمن نطاق الأراضي التابعة للسلطة الفلسطينية، فإن الخلافات الداخلية التي حصلت بين حركتي حماس وفتح من جهة، وسعي إسرائيل إلى تكريس تبعية الفلسطينيين لها في مجال الطاقة من جهة أخرى، أدت إلى تعطيل مشاريع استغلال الغاز في شواطئ غزة. يتضح سعي إسرائيل إلى استخدام الطاقة كسلاح في صراعها مع الفلسطينيين بشكل جلي منذ بداية حرب الإبادة الجماعية على قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر 2023²⁴، حيث وبعد بعد 10 أيام فقط من بدء الهجوم على غزة أعلنت منظمة الصحة العالمية نفاذ المياه والكهرباء والوقود في القطاع، مع ما يعنيه ذلك من توقف لمختلف المنشآت الحيوية ومن بينها المستشفيات.

من الواضح أن إسرائيل تسعى عبر جرائم الإبادة وسلاح التجويع إلى خلق علاقة كريهة بين الغزاويين وأرضهم بهدف تهجيرهم، وهو مسعى يفسر بطبيعة الحال بالتخوفات الأمنية من تكرار هجمات مشابهة لهجمات السابع من أكتوبر، ولكن لا يمكن النظر إلى هذا المسعى بمعزل عن الموارد الغنية التي تزخر بها شواطئ غزة، حيث

منحت وزارة الطاقة الإسرائيلية تراخيص لستة منشآت إسرائيلية وشركات عالمية للتنقيب الاستكشافي عن الغاز الطبيعي من بينها يني الإيطالية (Eni S.P.A)، دانا بتروليوم البريطانية (Petroleum Dana)، وراسيو بتروليوم الإسرائيلية (RatioPetroleum)²⁵، وهو ما يعكس رغبة إسرائيلية في الهيمنة على احتياطات النفط والغاز في محيطها الإقليمي، حيث صدرت إسرائيل خلال 2023 نحو 8.7 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي إلى مصر²⁶، أما الأردن فقد وقعت في 2014 اتفاقية مع الجانب الإسرائيلي لاستيراد كميات كبيرة من الغاز الطبيعي المستخرج من البحر الأبيض المتوسط لصالح شركة الكهرباء الأردنية²⁷.

2.3 الأطراف غير المباشرة:

هناك العديد من الأطراف التي تسعى لحماية مصالحها في المنطقة، فالولايات المتحدة تهدف إلى حماية مصالح شركائها الاستراتيجيين في المنطقة خاصة إسرائيل وبدرجة أقل مصر والأردن، بالإضافة إلى حماية مصالح شركائها النفطية خاصة شركة Noble Energy التي تستحوذ رفقة شركائها على 39% من الأسهم في شركة غاز شرق المتوسط،

التي تمتلك خط أنابيب EMG ، التي سيتم استخدام خط الأنابيب لنقل كميات الغاز الطبيعي إلى مصر بموجب اتفاقيات توريد الغاز المبرمة بين الشركة وبين دولفينوس القابضة، حيث بلغ صافي استثمار الاستحواذ لشركة Noble Energy في خط أنابيب EMG 185 مليون دولار، وتبلغ حصة الشركة الفعلية في خط الأنابيب 10 بالمائة²⁸.

أما روسيا فلم يكن من الصدفة أن يتزامن تدخلها في سوريا مع الإعلان عن اكتشاف حقل ظهر المصري، حيث سعت روسيا إلى الحصول على نصيب من الغاز السوري، حيث سيطرت على كامل حقول الغاز مقابل الساحل السوري، وبهذا ضمنت

روسيا الغاز مقابل دعم النظام وتوجيه سياسته الداخلية والخارجية²⁹، كما تشكل الثروة الغازية السورية محطة للتنافس الإيراني الروسي، وفي بعض الأحيان يتم فرض سلطة الأمر الواقع من قبل الطرف الأقوى، ففي مارس 2021 سيطرت قوات روسية على حقل غاز رئيسي في البادية السورية بعد إبعاد الميليشيات الإيرانية عنه، وذلك في إطار تقاسم النفوذ والمصالح بين الجانبين الروسي والإيراني في سوريا³⁰، في حين أنه لم يتضح إلى الآن مصير الثروة الغازية السورية بعد الإطاحة بالرئيس السوري الأسبق بشار الأسد في ديسمبر 2024.

أما الاتحاد الأوروبي فيسعى من خلال دعمه لقبرص واليونان إلى ضمان أمنها الطاقوي والانعقاد من التبعية لروسيا، فبعد أن حاولت لسنوات أن تتوع من موردي الغاز يبدو أن غاز شرق المتوسط يشكل بالنسبة للاتحاد فرصة للتقليل من الاعتماد على الغاز الروسي، وهو اعتماد بدا واضحا جدا بعد أن قررت روسيا استخدام سلاح الطاقة كأداة للضغط على الاتحاد الأوروبي.

4. الصراع على الغاز في شرق المتوسط ومستقبل النظام الدولي

إن الصراع على الغاز في شرق المتوسط يعكس تراتبية القوة في النظام الدولي، حيث أن الأطراف المباشرة التي تدخل ضمن خانة القوى الصاعدة استطاعت تغيير معادلة استغلال الطاقة في المنطقة فتركيا القوة الصاعدة تمكنت من فرض أجندتها بعد أن تم محاولة استبعادها، فيما تفرض إسرائيل أيضا منطقتها في لعبة استغلال الطاقة في المتوسط، هذا ناهيك عن أن الصراع على الغاز في شرق المتوسط سيساهم في تحديد ملامح النظام الدولي، وهذا وفق سيناريوهين أحدهما تشاؤمي والآخر تفاؤلي .

1.4 السناريو التشاؤمي:

يؤكد الواقعيون الهجوميون أن الدول تسعى إلى تعظيم قوتها وتحقيق الهيمنة الإقليمية. تشكل الطاقة المورد النادرة أحد أهم ملامح النزاعات في العصر الحالي، حيث تؤكد الدراسات أن ما بين عامي 1946 و 2008 كان هناك 285 صراعا، بينما كان عدد الصراعات على الطاقة في نفس الفترة 117 صراع⁽³¹⁾.

يعد تاريخ الصراع على الطاقة حقلا خصبا يمكن أن يعطينا مؤشرات عن السلوك المستقبلي للدول، فمختلف الأطراف سعت إلى فرض أجندتها من خلال القوة العسكرية، فتركيا اعتزضت سفنا لشركة إيطالية وتدخلت بشكل مباشر في ليبيا، فيما تعرضت لبنان والسلطة الفلسطينية إلى تهديدات مباشرة من قبل إسرائيل، كما جاء الوجود الروسي في شرق البحر الأبيض المتوسط في وقت تتواجد فيه العلاقات الروسية الغربية في أشد حالاتها توتراً منذ نهاية الحرب الباردة ليؤكد على احتمالات اندلاع صراع في المنطقة، فروسيا البلد العائد بقوة إلى الساحة الدولية تحاول فرض أجندتها و احباط محاولات تحجيم دورها، وهي تسعى عبر استخدام كل أنواع القوة ومن بينها الطاقة لتأكيد دورها في النظام الدولي، كما لا يمكن أن نفهم حرب الإبادة الجارية في قطاع غزة بعيدا عن متغير الطاقة.

2.4 السيناريو التفاؤلي :

يؤكد الليبراليون التجاريون أن تعقد وتشابك المصالح التجارية في ظل العولمة يجعل من الصراع أمرا مستبعدا، خاصة أن التكاليف الحدية لمثل هذا الصراع ستكون وخيمة، ناهيك عن أن استغلال ثروات شرق المتوسط يتطلب منطقة مستقرة وجاذبة للاستثمارات خاصة وأنه من غير المنطقي أن تخاطر أي شركة باستثمار أموالها في منطقة غير مستقرة ، بالإضافة إلى أنه من الضروري أن يتم تأمين نقل الغاز والبترو

والاتفاق على خطوط نقل الغاز عبر الأنابيب، لهذا فإن الدول ستحاول أن تنتظر إلى المكاسب المطلقة بدل المكاسب النسبية (أنظر الجدول رقم 01).

لهذا قد يشكل غاز شرق المتوسط مناسبة لتحقيق السلام في المنطقة وفق منطق خطوط أنابيب السلام Peace pipelines، حيث يدخل التقارب المصري التركي ضمن هذا الإطار ومن المحتمل ان يعيد غاز شرق المتوسط عملية السلام المتعثرة في المنطقة، كما أن العلاقات التركية الإسرائيلية من الممكن أن تشهد انفراجا وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى الوصول إلى اتفاقيات لتقسيم موارد المتوسط.

5. خاتمة

عكس الصراع على الغاز في شرق المتوسط بصورة واضحة تراتبية القوة في النظام الدولي، حيث وبالرغم من السعي الذي أبدته بعض الدول من أجل تقزيم حصة تركيا في غاز شرق المتوسط، تمكنت هذه الأخيرة من فرض نفسها بالقوة في ساحة التنقيب على الغاز، كما استطاعت إسرائيل أحد أهم القوى في المنطقة أن تفرض نفسها وتمارس التهديد على الدول الضعيفة حيث سعت استخدمت ورقة الطاقة في حرب إبادة على قطاع غزة، ناهيك عن سعي إسرائيل إلى تعزيز مكانتها الطاقوية من خلال تكريس معادلة جديدة في المنطقة خاصة عبر مشروع تهجير سكان غزة ، والذي تسعى عبره إلى ضمان هيمنتها على موارد القطاع، كما أن اعتماد دول المنطقة خاصة الأردن ومصر على الغاز الإسرائيلي يجعلها تخضع للأجندة الإسرائيلية.

ما يميز الصراع على غاز المتوسط هو انخراط أطراف دولية، وهو انخراط سيساهم في تحديد مستقبل الصراع خاصة وأن روسيا التي لا تنفك علاقتها مع الغرب تزداد توترا خاصة بعد الحرب الأوكرانية الروسية ويبدو أنها غير راضية تماما عن الوضع القائم في سوريا ، فبعد أن كانت تريد أن تحصل على نصيبها من استثمارات الغاز عبر بوابة

سوريا فمن الواضح أن هذا المسعى بات جزءا من طموحات الماضي، فيما تسعى الولايات المتحدة إلى جعل الغاز بوابة للسلام والتطبيع مع إسرائيل، أما الاتحاد الأوروبي فيريد عبر غاز المتوسط تحقيق الانعتاق من التبعية الطاقوية الروسية الذي أضرت بالاتحاد كثيرا بعد أن استخدمت روسيا الطاقة كورقة للضغط على الاتحاد الأوروبي.

تقاسم خريطة الاستثمارات بين الأطراف المباشرة وغير المباشرة سيساهم بشكل كبير في تقديم صورة حول طبيعة النظام الدولي، فتكمن روسيا من فرض أجندتها يعني أننا بتنا نعيش في عالم لم تعد للولايات المتحدة الأمريكية القدرة على فرض إرادتها، كما أن تمكن تركيا وإسرائيل من فرض خياراتها يؤكد على الدور المستقبلي الذي ستلعبه القوى الصاعدة في النظام الدولي.

6. الهوامش والمراجع

¹ كان ظهور مصطلح "لعنة الموارد"، مرتبطا بشكل أساسي بموجة التحول الديمقراطي الثالثة، وقد صك هذا المصطلح الباحث ريتشارد أوتي سنة 1993 وأكد من خلاله أن البلدان الغنية بالموارد المعدنية غير قادرة على استخدام تلك الثروة لتعزيز اقتصاداتها والانعكاسات السلبية لهذه الموارد خاصة النفط على البلدان الغنية به، وقد تم ربط هذه الوفرة في علاقتها مع العديد من الظواهر مثل: الحروب والصراعات، الفساد والاستعصاء الديمقراطي. للمزيد حول الموضوع راجع:

Richard Rorty, "Sentimentality, Rationality, and Sentimentality", In: On Human Rights, S. Shute and S. Hurley (eds.), (New York: Basic Books, 1993).

Michael Ross, The Oil Curse How Petroleum Wealth Shapes the Development of Nations, (New Jersey; Princeton University Press, 2012)

² Joseph M. Grieco, Summer 1988, "Anarchy and the limits of cooperation: a realist critique of the newest liberal institutionalism", International Organization, vol. 3, n°. 42, 487.

³ Powell, Robert, 1991, "Absolute and Relative Gains in International Relations Theory". The American Political Science Review. 85 (4), p.p. 1303–1304.

⁴ John Mearsheimer, 2007, Structural Realism, In Steve Smith and Others (eds), International Relations Theories: Discipline and Diversity, Oxford: Oxford University Press, p.72

⁵ Kenneth Waltz, 1979, Theory of International Politics, , 1st ed. Addison: Wesley Publishing Company, p. 131

⁶ John Mearsheimer , 2007, "Structural Realism" , in : Tim Dunne and Others(eds.), International Relation Theory: Discipline and Diversity , (Oxford: Oxford University Press, p . 78.

⁷ سامر إلياس، "كروولوجيا حرب الطاقة بين روسيا وأوكرانيا"، العربي الجديد، تاريخ الولوج:

<https://bit.ly/4igJ0kP>، في: 20.11.2024

⁸ صفوان جولاقي، "كيف حوّلت أوكرانيا خطوط نقل الغاز من وسيلة ضغط عليها إلى ورقة بيدها؟"، الجزيرة نت،

شاهد 14.1.2025، في: <https://bit.ly/3EPBONN>

⁹ هدير عبد المقصود محمود إبراهيم، 2017، السياسة الخارجية الروسية تجاه دول البلطيق منذ عام 2000، مذكرة ماجستير (دراسة غير منشورة)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، ص 93.

¹⁰ يعني مصطلح المتروبول تلك المساحات الواقعة خارج الأراضي الأصلية للإمبراطورية الاستعمارية، فعلى سبيل المثال كانت تعتبر بريطانيا متروبول للهند زمن الاحتلال البريطاني لها.

¹¹ Alberto Acosta, , 2013, "Extractivism and neoextractivism: two sides of the same curse", in: Miriam Lang and others, Beyond Development: Alternative visions from Latin America, translated by ; Transnational Institute and Rosa Luxemburg Foundation , p62.

¹² Marika Karagianni and Andreas Stergiou, 2019, Does Energy Cause Ethnic War? East Mediterranean and Caspian Sea Natural Gas and Regional Conflicts , Newcastle ; Cambridge Scholars Publishing; p.10

¹³ Alberto Acosta, op.cit., p.72.

¹⁴ Aleh Chero and Jessica Jewel, 2014, "The concept of energy security: Beyond the four As ", Energy Policy, 75, p.416

¹⁵ "What is Energy Security", International Energy Agency, retrieved on July 7th, 2017 <https://www.iea.org/topics/energysecurity/subtopics/whatisenergysecurity/>

¹⁶ Marika Karagianni and Andreas Stergiou, op .cit, p.10.

¹⁷ علي حسين باكير، "كنز في ماء المتوسط.. من يربح حرب الغاز القادمة؟"، ميدان، تاريخ التصفح

<https://bit.ly/3a5zvUC> : 2024.05.04

¹⁸ علي حسين باكير، "النزاع على الغاز في شرق المتوسط ومخاطر الاشتباك"، مركز الجزيرة للدراسات، تاريخ

التصفح 2024.01.04 : <https://bit.ly/3g2vi87>

¹⁹ لميس عاصي، خريطة الصراع على الثروات النفطية في شرق البحر المتوسط، العربي الجديد ، تاريخ التصفح

<https://bit.ly/3t9t8qR> : 2024 .10.04

²⁰ محمد السعيد، التدخل العسكري في ليبيا.. 6 أسئلة تشرح لك لعبة الحرب بين تركيا ومصر، ميدان، تاريخ

التصفح 2024.4.9: <https://bit.ly/3tbMtaX>

²¹ استنادا إلى اتفاقية مع ليبيا.. تركيا تبذل الأمم المتحدة بحدودها في شرق الأبيض المتوسط، الجزيرة نت، تاريخ

التصفح 2024.4.4: <https://bit.ly/2RsUo5V>

²² محمد السعيد، مرجع سبق ذكره.

²³ Israel's Genocidal War on Gaza Is Also About Oil and Gas, TRT World Research Center, accessed on 12.04.2024. <https://bit.ly/3EySFF5>

²⁴ إسرائيل تريد غزة فارغة من سكانها لتسطو على غاز شواطئها، الجزيرة نت، تاريخ الولوج 1.4.2024.

<https://bit.ly/42z7Ya4>

²⁵ أمين زرواطي، ما هو حقل الغاز غزة مارين وما مصيره في ظل استمرار الحرب بين حماس وإسرائيل؟

فرانس 24، تاريخ الولوج 13.4.2024. <https://bit.ly/4jN3NNg>

²⁶ " رغم "أزمة العلاقات" .. معطيات تكشف اعتماد مصر على حقول الغاز الإسرائيلية"، عربي 21، تاريخ

الولوج 12.4.2024. <https://bit.ly/4jQ6L3R>

²⁷ Vickie Langohr , Exposing Jordan's Gas Deal with Israel, Middle East Research and Information Project <https://merip.org/2019/09/exposing-jordans-gas-deal-with-israel/>

²⁸ Sarah Vogler and Eric V. Thompson, March 2015 , Gas Discoveries in the Eastern Mediterranean: Implications for Regional Maritime Security , Policy Brief , p. 1

²⁹ النفط والغاز في سوريا أين تنتشر الحقول ومن لمستفيدون"، TRT عربي، تاريخ التصفح 02.04.2021

<https://bit.ly/3d6re4K>

³⁰ عدنان أحمد، القوات الروسية تنتزع السيطرة على حقل غاز في البادية السورية من الميليشيات الإيرانية، العربي

الجديد، تاريخ التصفح 05.04.2021: <https://bit.ly/3fYBUo1>

³¹ Marika Karagianni and Andreas Stergiou, op.cit, p.9